

وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور في اللغة ، قال عمرو بن كلثوم
فآبوا بالثياب وبالسيابا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله (سرايلهم من قطران) أى ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهبأ به الإبل أى تطلى قال قتادة وهو ألصق
شئء بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم
كأن قطراناً إذا تلاها * ترمى به الريح إلى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها (سرايلهم من قطران) أى من نحاس حار قد انتهى
حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة وقوله (وتعشى وجوههم النار) كقوله (تلمح
وجوههم النار وهم فيها كالخون) وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبى كثير
عن زيد عن أبى سلام عن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «أربع فى أمى من أمر الجاهلية لا يتركوهن :
الفخر بالأحساب والظن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والنأحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة
وعلها سربال من قطران ودرع من جرب» انفرد بإخراجه مسلم . وفى حديث القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ رفته «النأحة إذا لم تتب توقف فى طريق بين الجنة والنار وسرايلها من قطران وتعشى وجوههم النار»
وقوله (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يوم القيامة (ليجزى الدين أساءوا بما عملوا) الآية (إن الله سريع
الحساب) يحتمل أن يكون كقوله تعالى (أقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) ويحتمل أنه فى حال محاسبته
لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شئء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله
تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) إحصاء ويحتمل أن يكون
المعنىان مرادين والله أعلم .

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) أى هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما
قال فى أول السورة (الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أى لينعطوا
به (وليعلموا أنما هو إله واحد) أى يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو (وليدكر أولو الأبواب)
أى ذوو العقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

﴿ تفسير سورة الحجر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ آر تَلَكَّ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرَّهُمْ إِنَّمَا كُنُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم
أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا فى الدنيا مسلمين ، ونقل السدى فى تفسيره بسنده
الشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا
مسلمين . وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً ، وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله
تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان
الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الزاهرية عن عبد الله فى قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال هذا فى
الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثنى الثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبى فروة

العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية (ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين) يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول (ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين) وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد عن إبراهيم وعن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم؟ فإذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، قال فعند ذلك قوله (ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا روى عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم، وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن إسحق الجهني وابن علي يحيى بن موسى^(١) حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأغر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقمهم في نهر الحياة فيرون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين»، فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا، ثم قال الطبراني تفرد به الجهني

﴿الحديث الثاني﴾ قال الطبراني أيضاً حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء علي بن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى، قالوا فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار؟ فالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا - قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (الرتلك آيات الكتاب وقرآن مبين) «ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين» ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة. ﴿الحديث الثالث﴾ قال الطبراني أيضاً حدثنا موسى بن هارون حدثنا إسحاق ابن راهويه قال قلت لأبي أسامة أحدثكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثني صالح بن أبي شريف قال سألت أبا سعيد الخدري فقلت له هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية (ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين)؟ قال نعم سمعته يقول «يخرج الله ناساً من المؤمنين من النار بعد ما تأخذ نعمته منهم» وقال «لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكُم معنا في النار، فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع لهم الملائكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم - قال - فذلك قول الله (ربما يود الدين كفروا لو كانوا مسلمين) فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون يارب أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر في الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم» فأقر به أبو أسامة وقال نعم ﴿الحديث الرابع﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسي حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثني اليمان بن يزيد عن محمد بن جبير عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «منهم من تأخذ النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذنه إلى حوزته ومنهم من تأخذنه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الديار منذ يوم خلقت إلى أن تفتى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه

ورسله فحن وأتم اليوم في النار سواء ، فيعذب الله لهم غضبا لم يعضبه لشيء فيما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) تهديد شديد لهم ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) ولهذا قال (ويلهم الأمل) أي عن التوبة والانابة (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الاقتلاع عمائم عليه من الشرك والعماد والالحاد الذي يستحقون به الهلاك

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ * إِنْ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم في قولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكركر) أي الذي تدعى ذلك (إنك لمجنون) أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا (لوما) أي هلا (تأتينا بالملائكة) أي يشهدون لك بصحة ما جئت به كما قال فرعون (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاه معه الملائكة مقترنين) ، (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) وكذا قال في هذه الآية (مانزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقال مجاهد في قوله (مانزل الملائكة إلا بالحق) بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكركر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ، ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى (له لحافظون) على النبي ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس) والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأُولِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأُولِينَ ﴾

يقول تعالى مسليا لرسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به ، ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى ، قال أنس والحسن البصري (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) يعني الشرك وقوله (قد خلت سنة الأولين) أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار وكيف أنهى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا (إنما سكرت أبصارنا) قال مجاهد وابن كثير والضحاك: سدت أبصارنا ، وقال قتادة عن ابن عباس: أخذت أبصارنا ، وقال العوفي عن ابن عباس: شبه علينا وإنما سحرنا ، وقال السكبي: عميت أبصارنا وقال ابن زيد: سكرت أبصارنا. السكران الذي لا يعقل .

﴿ وَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّظِيرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ

السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ *
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقتادة البروج ههنا هي الكواكب (قلت) وهذا كقوله تبارك وتعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) الآية. ومنهم من قال البروج هي منازل الشمس والقمر، وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرساتها من مرده الشياطين لئلا يسمعوها إلى الملائكة الأعلى فمن نمرود وتقدم منهم لا ستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فرجما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فياً أخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحاً به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان » قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فرجماً أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمى بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم نخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت من السماء ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومدته إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المنتاسبة ، وقال ابن عباس (من كل شيء موزون) أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من يقول مقدر بقدر . وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر ، وقال ابن زيد ما يزنه أهل الأسواق . وقوله ، (وجعلنا لكم فيها معايش) يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعايش وهي جمع معيشة وقوله (ومن لستم له برازقين) قال مجاهد هي الدواب والأنعام ، وقال ابن جرير هم العبيد والاماء والدواب والأنعام ، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعاش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها والعبيد والاماء التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم ، فلهم هم المنفعة ، والرزق على الله تعالى .

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَزَائِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف (وما نزلناه إلا بقدر معلوم) كما يشاء وكما يريد ولله في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة . قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله مامن عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاماً ههنا وعاماً ههنا ثم قرأ (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) الآية رواه ابن جرير ، وقال أيضاً حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا إسماعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله (وما نزلناه إلا بقدر معلوم) قال ماعام

بأكثر مطراً من عام ولا أقل ولكنه يطر قوم ويحرم آخرون بما كان في البحر ، قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ، وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثني أبي عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزائن الله الكلام فإذا أراد شيئاً قال له كن فكان » ثم قال لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوى وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) أى تلتفح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الانتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردتها ووصفها بالعقيم وهو عدم الانتاج لأنه لا يكون إلا بين شيئين فصاعداً ، وقال الأعمش عن النبال ابن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ترسل الريح فتحمل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وقتادة ، وقال الضحاك يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلي ماء ، وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله البشارة فتقم الأرض فثم يبعث الله الثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا (وأرسلنا الرياح لواقح) وقد روى ابن جرير من حديث عبيس بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الريح الجنوب من الجنة وهى التى ذكر الله فى كتابه وفهامنا فى الناس » وهذا إسناد ضعيف ، وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى يزيد بن جعدية الليثى أنه سمع عبد الرحمن ابن مخراق يحدث عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق فى الجنة ريحاً بعد الريح سبع سنين وإن من دونها باباً مغلقاً وإنما يأتىكم الريح من ذلك الباب ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شئ وهى عند الله الأذيب وهى فىكم الجنوب » وقوله (فأسقيناهم) أى أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه لو نشاء جعلناه أجاباً كما نبه على ذلك فى الآية الأخرى فى سورة الواقعة وهو قوله تعالى (أفأرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ * لو نشاء جعلناه أجاباً فلو لا تشكرون) وفى قوله (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون) وقوله (وما أنتم له بخازنين) قال سفيان الثورى بما نعين ويحتمل أن المراد وما أنتم له بحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع فى الأرض ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا وحفظه فى العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليقبى لهم فى طول السنة يشربون ويستقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم وقوله (وإنا لنحن نحيى ونميت) إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادةه وأنه هو الذى أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما : المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرون من هوى ومن سياتى إلى يوم القيامة ، وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وقد ورد فيه حديث غريب جدا فقال ابن جرير حدثني محمد بن موسى الجرشى حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت تصلى خلف النبي ﷺ امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يعنى لثلا يروها وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وكذا رواه أحمد وابن أبى حاتم فى تفسيره ورواه الترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحدائى وقدمته أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكى عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن ، وهذا الحديث

فيه نكارة شديده وقد رواه عبدالرزاق عن جعفر بن سلمان عن عمرو بن مالك وهو النكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم) في الصفوف في الصلاة (والمتأخرين) فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر ، وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر عن أبيه أنه سمع عون بن عبد الله يذكر محمد بن كعب في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) وأنها في صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الميت والمقتول (والمتأخرين) من يخلق بعد (وإن ربك هو بحشرهم إنه حكيم عليم) فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيراً

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السُّمُومِ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار) وعن مجاهد أيضاً (الصلصال) اللتان وتفسير الآية بالآية أولى وقوله (من حمأ مسنون) أي الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون الأملس كما قال الشاعر :
ثم خاصرتها إلى القبة الخض * سراء تمشى في صرمر مسنون

أي أملس صقيل ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك ان الحمأ المسنون هو اللتان وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب ، وقوله (الجان خلقناه من قبل) أي من قبل الانسان (من نار السموم) قال ابن عباس هي السموم التي تقتل ، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحورور بالنهار ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال دخلت على عمر الأعم أعوده فقال ألا أحدئك حديثاً سمعته من عبد الله بن مسعود يقول هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وعن ابن عباس أن الجان خلق من لهب النار وفي رواية من أحسن النار ، وعن عمرو بن دينار من نار الشمس ، وقد ورد في الصحيح « خلقت الملائكة من نور وخلقتم الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »^(١) والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محتده

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَسْكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل ولهذا قال (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) كقوله (أناخيرمه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت على) الآية . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجبياً من حديث شيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال (إني خالق بشرأ من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي قفعوا له ساجدين) قالوا لا تفعل ، فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال إني خالق بشرأ من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال إني خالق بشرأ من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد ، والظاهر أنه إسرائيلي والله أعلم

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونياً لا يخالف ولا يمانع بالخروج من النزلة التي كان فيها من الملائكة الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد أتبعه لعنة لا تزال متصلة به لا حقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة . وعن سعيد بن جبير أنه قال : لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها رواه ابن أبي حاتم ، وأنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه أحبب إلى ذلك استدراجاً له وإمهالاً فلما تحقق النظرة قبضه الله

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب (بما أغويتني) قال بعضهم أقسم باغواء الله له (قلت) ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني (لأزينن لهم) أي لدرية آدم عليه السلام (في الأرض) أي أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأأزم إليها وأزعجهم إليها إزعاجاً (ولأغوينهم أجمعين) أي كما أغويتني وقدرت على ذلك (إلا عبادك منهم المخلصين) كقوله (أرايتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً) (قال) الله تعالى له متهدداً ومتوعداً (هذا صراط على مستقيم) أي مرجعكم كلكم إلى فأجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) وقيل طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى وإليه تنتهي قاله مجاهد والحسن وقتاده كقوله (وعلى الله قصد السبيل) وقرأ قيس بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا صراط على مستقيم) كقوله (وإنه في أم الكتاب لديننا على حكيم) أي رفيع والمشهور القراءة الأولى . وقوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي الدين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم (إلا من اتبعك من الغاوين) استثناء منقطع . وقد أورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال : كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم فإذا أُرَادَ النبي أن يستنبي ربه عن شيء خرج إلى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأله ما بداله ، فبينما نبي في مسجده إذ جاء عدو الله — يعني إبليس — حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأى شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد على صاحبه فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرايت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات ، فقال عدو الله أخبرني بأى شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي إن الله تعالى يقول (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول الله (وإما يترغناك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه سميع عليم) وإني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك ، قال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم ، قال آخذه عند الغضب والهوى . وقوله (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) أي جهنم موعدهم جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فاللار موعده) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا يحيد لهم عنه أجازنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في ذلك بقدر عمله ، قال إسماعيل بن علي وشعبة كلاهما عن أبي هارون الضنوي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : إن أبواب جهنم هكذا — قال أبو هارون — أطباق بعضها

فوق بعض ، وقال إسرائيل عن أبي إسحاق عن هبيرة بن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيحتلى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلىء كلها ، وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه ، وكذا روى عن الأعمش بنحوه أيضاً ، وقال قتاده (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) هي والله منازل بأعمالهم رواهن ابن جرير ، وقال جوير عن الضحاك (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي - أو قال على أمة محمد - » ثم قال لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الحلال حدثنا زيد - يعني ابن يحيى - حدثنا سعيد بن بشير عن قتاده عن أنى نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال « إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) » .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوها بِسَلَامٍ ؕ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم في جنات وعيون وقوله (ادخلوها بسلام) أي سالمين من الآفات مسلم عليكم (آمنين) أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء ، وقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) روى القاسم عن أبي أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشجاء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ (ونزعنا ما في صدورهم من غل) هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف ، وقد روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري . وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو التوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وتقوا أذن لهم في دخول الجنة » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال استأذن الأشرع على رضي الله عنه وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال إني لا أراك إنما حبستني لهذا ؟ قال أجل قال إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر

متقابلين) قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا ، فقال على رضى الله عنه قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم إذا إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر أبو معاوية الحديث بطوله وروى وكيع عن أبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربيع بن خراش عن علي نحوه وقال فيه ققام رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال فصاح به على صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ثم قال إذا لم نكن نحن فمن هم ؟ وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الأعور ذلك ققام إليه على رضى الله عنه فصر به بشيء كان في يده في رأسه وقال فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن ؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال : جاء ابن جرير قاتل الزبير يستأذن على رضى الله عنه فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاد فتجفونهم فقال على : فيك التراب إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين) وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه ، وقال سفيان بن عيينة عن إسرائيل عن أبي موسى سمع الحسن البصرى يقول . قال على فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين) وقال كثير النوا : دخلت على أبي جعفر محمد بن على فقلت ولي وليكم ، وسلمى سلمكم ، وعدوى عدوكم ، وحربى حربكم . أنا أسالك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال (قد ضلك إذا وما أنا من المهتدين) تولها ما كثيرا أدركك فهو في رقبتي هذه ، ثم تلا هذه الآية (إخوانا على سرور متقابلين) قال أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم أجمعين ، وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله (إخوانا على سرور متقابلين) قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، وقوله (متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض وفيه حديث مرفوع

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين عن إبراهيم القومى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى قال . خرج علينا رسول الله ﷺ ونال هذه الآية (إخوانا على سرور متقابلين) في الله ينظر بعضهم إلى بعض ، وقوله (لا يمسم فيها نصب) يعنى للشقة والأذى كما جاء في الصحيحين « إن الله أمرنى أن أبشر خديجة بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » وقوله (وما هم منها بمخرجين) كما جاء في الحديث « يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمضوا أبدا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا » وقال الله تعالى (خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا)

وقوله (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) أى أخبرنا محمد عبادى أنى ذورحة وذو عذاب أليم ، وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهى دالة على مقامى الرجاء والخوف ، وذكر فى سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال مر رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه يضحكون فقال « اذكروا الجنة واذكروا النار » فنزلت (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل ، وقال ابن جرير حدثني الثنى حدثنا إسحق أخبرنا ابن المسيكى أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من السباب الذى يدخل منه بنو شيبه فقال « ألا أراكم تضحكون » ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقري فقال « إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله يقول لم تنظ عبادى (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) » وقال سعيد عن قتادة في قوله (نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه »

﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ وَجِئُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا

نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى وخبرهم يا محمد عن قصة (ضيف إبراهيم) والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر، وكيف (دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجاؤن) أي خائفون، وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيد (قالوا لا توجل) أي لا تخف (وبشروه بغلام عليم) أي إسحق عليه السلام كما تقدم في سورة هود ثم (قال) متعجباً من كبره وكبر زوجته ومتحققاً للوعد (أبشرتموني على أن مسني الكبر فم تبشرون) فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وقرأ بعضهم القنطين فأجابهم بأنه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

يقول تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروح وجاءته البشري أنه شرع يسألهم عما جاءوا له فقالوا (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من الهاالكين، ولهذا قالوا (إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) أي الباقيين المهلكين

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال (إنكم قوم منكرون) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنون بعدائهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحاوله بساحمهم (وأتيناك بالحق) كقوله تعالى (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) وقوله (وإنا لصادقون) تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه

﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْبُرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٢﴾

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشى وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشى في الغزو إنما يكون ساقية يزجي الضعيف ويحمل المنقطع وقوله (ولا يلتفت منكم أحد) أي إذا سمعت الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال (وامضوا حيث تؤمرون) كأمر كان معهم من يهديهم السبيل (وقضينا إليه ذلك الأمر) أي تقدمنا إليه في هذا (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي رقت الصباح كقوله في الآية الأخرى (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقریب) ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ *

﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هُوَ لَأَوْلَىٰ بِئِنَّ بَنَاتِي إِن كُنْتُمْ فَعَالِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم وأنهم جاءوا مسبشرين بهم فرحين (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون) وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله كما قال في سورة هود وأما هنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذكر مجيء قومه ومحاكاة لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه فقالوا له مجيبين (أولم تنهك عن العالمين) أي أو ما نهيتك أن تضيف أحدا؟ فأرشدهم إلى نساءهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. وقد تقدم إيضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته. هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصبحهم من العذاب المستقر. ولهذا قال تعالى لمحمد ﷺ (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهُون) أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاء عريض. قال عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهُون) يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا (إنهم لفي سكرتهم يعمهُون) رواه ابن جرير وقال قتادة (في سكرتهم) أي في ضلالتهم (يعمهُون) أي يلعبون، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لعمرك) لعيشك (إنهم لفي سكرتهم يعمهُون) قال يترددون

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى (فأخذتهم الصيحة) وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية، وقوله (إن في ذلك آيات للمتوسمين) أي إن آثار هذه النعم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد في قوله (للمتوسمين) قال الثوريين، وعن ابن عباس والضحاك للناظرين وقال قتادة للمعتبرين، وقال مالك عن بعض أهل المدينة (للمتوسمين) للمتأملين. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ثم قرأ النبي ﷺ (إن في ذلك آيات للمتوسمين) رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال ابن جرير أيضاً حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون ابن مهران عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله » وقال ابن جرير حدثني أبو شريحيل الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وتوفيق الله ». وقال أيضاً حدثنا عبد الأمل بن واصل حدثنا سعيد ابن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ « إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم »، ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » وقوله (وإنها لبسبيل مقيم) أي وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمنوى والقذف بالحجارة حتى صارت محيرة منقنة خبيثة بطريق مهيع مسالكة مستمرة إلى اليوم كقوله (وإنكم لتخرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون * وإن يونس لمن المرسلين) وقال مجاهد والضحاك (وإنها لبسبيل

مقيم) قال معلم ، وقال قتادة بطريق واضح ، وقال قتادة أيضا بصقع من الأرض واحد ، وقال السدي بكتاب ميين يعني كقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام ميين) ولكن ليس المعنى على ما قاله ههنا والله أعلم ، وقوله (إن في ذلك آية للمؤمنين) أي إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجائنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله

﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب ، قال الضحاك وقاتدة وغيرهما الأيكة الشجر المتلف وكان ظلمهم بشركم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال واليزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرحفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالى (وإني لليمام مبين) أي طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم (وما قوم لوط منكم ببعيد)

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

أصحاب الحجرهم عمود الدين كذبوا صالحا نبيا عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين ، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعقروها قال لهم (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وقال تعالى (وأما عمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وذكر تعالى أنهم (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) أي من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشرا وبطرا وعبثا كما هو المشاهد من صنعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقتع رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه « لا تدخلوا بيوت القوم المعدنين إلا أن تكونوا بأكين فان لم تبكوا فبناكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم » وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي وقت الصباح من اليوم الرابع (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بماثها عن الناقة حتى عقروها لثلاث تضييق عليهم في المياه ، فمادفت عنهم تلك الأموال ولا نفعتم لما جاء أمر ربك

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَخْلَقَ الْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) أي بالعدل (ليجزى الدين أساءوا بما عملوا) الآية ، وقال تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم أخبرني به قيام الساعة وأنها كائنة لاحالة ثم أمره بالصصح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به كقوله (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) وقال مجاهد وقاتدة وغيرهما كان هذا قبل القتال ، وهو كما قالا ، فإن هذه مكة والقتال إنما شرع بعد الهجرة ، وقوله (إن ربك هو الخلاق العليم) تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة فانه الخلاق الذي لا يعجز خلق شيء العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق في سائر أقطار الأرض كقوله (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)

دقيقاً إلى هلال رجب» قال لا ، إلا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أما والله إنى لأمين من فى السماء وأمين من فى الأرض ولئن أسلفنى أو باعنى لأؤدين إليه » فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) إلى آخر الآية كأنه يعزبه عن الدنيا قال العوفى عن ابن عباس (لا تمدن عينيك) قال نهى الرجل أن يتعمى ما لصاحبه . وقال مجاهد (إلى متعنا به أزواجاً منهم) هم الأغنياء

﴿ وَقُلْ إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُتَسَمِّينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس (إنى أنا النذير المبين) البين النذارة فذير للناس من عذاب ألم أن محلهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسولها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله (المتقسمين) أى المتحالفين أى تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخباراً عن قوم صالح إنهم (قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله) الآية أى تقتلهم ليلاً قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) الآية (أهولاً لله من أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ،) فكانهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا متقسمين : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المتقسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله . وفى الصحيحين عن أبى موسى عن النبي ﷺ قال « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعينى وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلبهم فنجوا ، وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق » وقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) أى جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فأمنوا ببعض وكفروا ببعض ، قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال (جعلوا القرآن عضين) قال هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال (كما أنزلنا على المتقسمين) قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال السحر ، وقال عكرمة العضة السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها العاضة وقال مجاهد عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الأولين ، وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقال كاهن فذلك العضين وكذا روى عن الضحاك وغيره ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن محمد بن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم ياه مشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً فقالوا وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً تقول به قال بل أتم قولوا لأسمع قالوا تقول كاهن ، قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون ، قال ما هو بمجنون قالوا فنقول ساعر ، قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر ، قال ما هو بساحر قالوا فماذا تقول ، قال والله إن لقوله للحلاوة فما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر ، فنفروا عنه بذلك وأنزل الله فيهم (الذين جعلوا القرآن عضين) أصنافاً (فوركنا على المتقسمين) أوصافاً (فوركنا على المتقسمين) أولئك نفر الذين قالوا الرسول الله ، وقال عطية العوفى عن ابن عمر فى قوله (لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن لا إله إلا الله وقال عبد الرزاق أنبأنا الثورى عن ليث هو ابن أبى سلمة من مجاهد فى قوله تعالى (لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال

عن لا إله إلا الله وقد روى الترمذى وأبو يعلى الموصلى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي ﷺ (فوربك لنسألنهم أجمعين) قال عن لا إله إلا الله ، ورواه ابن ادريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا ، وقال ابن جرير حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن حكيم قال ورواه الترمذى وغيره من حديث أنس مرفوعا وقال عبد الله هو ابن مسعود والذي لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخولوا الله به يوم القيامة كما يخولوا أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول : ابن آدم ماذا غرك مني؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أحببت المرسلين؟ وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعملون وعما ذابوا المرسلين؟ وقال ابن عينة عن عمالك وعن مالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الحذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المرء يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألتينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آلاك الله منك » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ثم قال (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال لا يسألهم هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بأبلاغ ما بعثه به وبإفادته والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله (فاصدع بما تؤمر) أى أمضه ، وفي رواية (افعل ما تؤمر) وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فخرج هو وأصحابه وقوله (وأعرض عن المشركين) إنا كفيناك المستهزين (أى بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذى يريدون أن يصدوك عن آيات الله) (ودوا لوتدهن فيدهنون) ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم كقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد ابن درهم عن أنس قال سمعت أنساً يقول في هذه الآية (إنا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوق في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا ، وقال محمد بن إسحاق كان عطاء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود بن المطلب أبو زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » ومن بنى زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ومن بنى سهم بن عمرو بن هيص بن كعب بن لؤى العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلائة ابن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) إنا كفيناك المستهزين — إلى قوله — فسوف يعلمون) قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من النساء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ثم به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى

بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك
سمين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نلاله فتعلق سهم من نبله بأزاره فخدش رجله ذلك الخدش
وليس بشيء فاتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخصم قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على
شبرقة فدخلت في أخصم قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله ، قال محمد بن
إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روى
عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله إلا أن سعيدا يقول الحارث بن غيظة
وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا هو الحارث بن قيس وأمه غيظة وكذا روى عن مجاهد ومقسم
وقادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبي كانوا سبعة والمشهور الأول وقوله (الذين يجعلون مع الله إلها آخر
فسوف يعلمون) تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبودا آخر وقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما
يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدروا تقاض
فلا يهيدنك ذلك ولا يشيننك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فانه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله ونحميده
وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة . ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء في الحديث الذي رواه
الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أ كفك
آخره » ورواه أبو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ
إذا حزبه أمر صلى ، وقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن
عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن
سالم بن عبد الله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن
أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين *
وكنا نحوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين) وفي الصحيح من حديث الزهري عن
خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد
مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهداتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« وما يدريك أن الله أكرمه : » فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن ؟ فقال « أما هو فقد جاءه اليقين وإني
لأرجوه الخير » ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة
ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً فيصلى بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي
الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب » ويستدل
بها على نخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف
عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه
وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ،
وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قد مناه الله والحمد لله والمنه والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل وهو المستول أن
يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فانه جواد كريم. آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين .

(تفسير سورة النحل وهي مكية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)